الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنّ من المعلوم أنّ من أعظم مقاصد التنزيل تدبُّرُه، كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾، ومع وضوح هذا المقصد، وظهوره إلا أن التقصير فيه ظاهرٌ جدًا، وقد بدأت بوادره الأولى في أواخر عصر الصحابة رضوان الله عليهم، وفي أوائل عهد التابعين، فكان الأئمة وأهل العلم بالقرآن يحذرون الناس من هجر هذه العبادة -عبادة التدبر-، ويبينون في مناسبات متنوعة خطورة هذا الهجر، وأثره السيئ على واقع الأمة في حياتها العامة والخاصة.

ومن هذا المنطلق، أحببنا أن نضع بين يديك -أخي المحب للتدبر- نقولات نظمناها في هذا العقد المبارك الذي أسميناه: «كلمات الأعلام في الحث على تدبر كلام الملك العلام»، جمعنا فيها بعض أقوال الأئمة من الصحابة ومن بعدهم إلى عصرنا هذا، وقد قسّمناها إلى ثلاثة أقسام: كلمات أئمة القرون الثلاثة الأولى، ثم كلمات الذين عاشوا من القرن الرابع حتى نهاية القرن الثالث عشر، والقسم الثالث: كلمات علماء القرن الرابع عشر والخامس عشر.

ومن المعلوم أن هذه الكلمات متفاوتة المعاني، ومختلفة التنبيهات، جاءت في سياقات مختلفة، لكن يجمعها مقصد كلي، وهو الحث على تدبر القرآن، نسأل الله تعالى أن ينفع بها، وأن يرزقنا تدبر كتابه والعمل به.

من كلمات أئمة القرون الثلاثة الأولى

١) قال ابن مسعود رضي الله عنه: «لا يسأل عبدٌ عن نفسه إلا القرآن، فإنْ كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله».

تفسير ابن كثير (٢٢/١)

٢) يقول الشعبي: «إذا قرأت القرآن فاقرأه قراءة تسمع أذنيك، ويفقه قلبك، فإنّ الأذن عدلٌ بين اللسان، والقلب».

الزهد لابن المبارك (ص:٤٢٢)

٣) إن هذا لقرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله، ولم يأتوا الأمر من قبل أوله قال الله عز وجل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ وما يتدبر آياته إلا اتباعه بعلمه، والله يعلمه، أما والله ما هو بحفظ حروفه، وإضاعة حدوده، حتى أن أحدهم ليقول قد قرأت القرآن كله فما أسقط منه حرفا، وقد أسقطه والله كله ما بدا له القرآن في خلق ولا عمل، حتى أن أحدهم ليقول: والله إني لأقرأ السورة، والله ما هؤلاء بالقراء، ولا العلماء، ولا الحكماء، ولا الورعة، ومتى كانت القراء تقول مثل هذا إلا أكثر الله في الناس مثل هذا.

الحسن البصري، فضائل القرآن للفريابي (ص: ٢٤٧)

٤) «تفقدوا الحلاوة في ثلاث: في الصلاة، وفي القرآن، وفي الذكر، فإن وجدتموها فامضوا وأبشروا، فإن لم تجدوها فاعلموا أن الباب مغلق!».

الحسن البصري، حلية الأولياء (٣١٨/٤)

٥) «إذا التبست عليك الطرق، واشتبهت عليك الأمور، وصرت في حَيرة من أمرك، وضاق بها صدرُك، فارجع إلى القرآن الذي لا حَيرة فيه، وقف على دلائله من الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، وإلى ما ندب الله إليه المؤمنين من الطاعة وترك المعصية، فإنك تخرج من حَيرتك، وترجع عن جهالتك، وتأنس بعد وحشتِك، وتقوى بعد ضعفِك».

نصر بن يحيى بن أبي كثير، العزلة والانفراد لابن أبي الدنيا (ص:٨٠)

٦) «قيل لعيسى بن وردان: ما غاية شهوتك من الدنيا؟ فبكى، ثم قال: أشتهي أن ينفرج لي عن صدري، فأنظر إلى قلبي ماذا صنع القرآنُ فيه وما نكأ؟».

المتمنين، لابن أبي الدنيا (ص:٤٩)

٧) قيل ليوسف بن أسباط: بأي شيء تدعو إذا ختمتَ القرآن؟ فقال: أستغفر الله؛ لأني إذا ختمته ثم تذكَّرتُ ما فيه من الأعمال خشيتُ المقت، فأعدل إلى الاستغفار والتسبيح.

إحياء علوم الدين (٢/٥٥)

٨) «إنما آيات القرآن خزائن، فإذا دخلت خزانةً فاجتهد أن لا تخرج منها حتى تعرف ما فيها».

سفيان بن عيينة، زاد المسير في علم التفسير (٢/٣٧٠)

٩) «لو تدبَّر إنسانٌ القرآنَ كان فيه ما يرد على كل مبتدع وبدعته».

الإمام أحمد، السنة للخلال (رقم الأثر: ٩١٢)

١٠) قال المروذي: سمعت أبا عبدالله يقول لرجل: اقعد اقرأ، فجئته أنا بالمصحف، فقعد فقرأ عليه فكان يمرُّ بالآية فيقف أبو عبدالله فيقول له: ما تفسيرها؟ فيقول: لا أدري، فيفسرها لنا، فربما خنقتْه العَبرة فيردّها.

بدائع الفوائد (٤/١٦٧)

١١) «إذا عَظُم في صدرك تعظيمُ المتكلم بالقرآن، لم يكن عندك شيء أرفع، ولا أشرف، ولا أنفع، ولا ألذ، ولا أحلى من استماع كلام الله جل وعز، وفهم معاني قوله تعظيمًا وحبًا له، وإجلالًا، إذ كان تعالى قائله، فحبُّ القولِ على قدر حب قائلِه».

الحارث المحاسبي، فقه القرآن (ص:٣٠٢)

١٢) «إذا كان كلام العالم أولى بالاستماع من كلام الجاهل، وكلام الوالدة الرؤوم أحق بالاستماع من كلام غيرها، فالله أعلم العلماء وأرحم الرحماء، فكلامُه أولى كلام بالاستماع والتدبر والفهم».

الحارث المحاسبي، فهم القرآن (ص: ٢٤٧)

١٣) سُئل أبو زرعة الرازي عن كُتُب فيها بدع وضلالات؟ فقال: إياك وهذه الكتب، عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغنيك، ومن لم يكن له في كتاب الله عِبْرة فليس له في هذه الكتب عبرة!

الآداب الشرعية (٢/١٥٧)

١٤) كان أبو العباس بن عطاء يختم القرآن كثيرًا، إلا أنه جعل له ختمة يستنبط منها معاني القرآن، فبقي بضعَ عشرةَ سنة، فمات قبل أن يختمَها.

حلية الأولياء (١٠/٣٠٢)

من كلمات أئمة القرون: من الرابع – الثالث عشر

١٥) وقد أعلم الله تعالى خلقَه أن من تلا القرآن، وأراد به متاجرة مولاه الكريم، فإنه يربحه الربح الذي لا بعده ربح، ويعرفه بركة المتاجرة في الدنيا والآخرة.

الإمام الآجري، أخلاق حملة القرآن (ص:٢)

١٦) «المؤمن العاقل إذا تلا القرآنَ استعرضه، فكان كالمرآة يرى بها ما حَسُن من فعله وما قَبُح، فما خوَّفه به مولاه من عقابه خافَه، وما رغَّب فيه مولاه رغبَ فيه ورجاه، فمن كانت هذه صفتُه –أو ما قاربها– فقد تلاه حق تلاوته، وكان له القرآنُ شاهدًا وشفيعًا، وأنيسًا وحرزًا، ونفع نفسه، وأهله، وعاد على والديه وولده كلَّ خير في الدنيا والآخرة».

الإمام الآجري، أخلاق حملة القرآن (ص:٢٧)

١٧) «البكاءُ مستحبٌ مع القراءة، وطريق ذلك: أن يُحضرَ قلبَه الحزنَ، فمن الحزن ينشأ البكاء، وذلك بأن يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد، والمواثيق والعهود، ثم يتأمل تقصيرَه في أوامره وزواجره، فيحزن لا محالة ويبكي، فإن لم يَحضُرْه حزنٌ وبكاء، فليبكِ على فقد الحزن والبكاء، فإن ذلك أعظمُ المصائب».

أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين (٢/٣٧)

١٨) لما كان القرآن العزيز أشرف العلوم، كان الفهم لمعانيه أوفى المفهوم؛ لأن شرف العلم بشرف المعلوم.

ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير (١/٣)

١٩) من موانع فهم القرآن والتلذذ به: «أن يكون التالي مُصرًّا على ذنب، أو متَّصفًا بكبر، أو مبتلى بهوى مُطاع، فإن ذلك سببُ ظلمة القلب وصدئه، فالقلب مثلَ المرآة، والشهوات مثل الصدأ، ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة، والرياضةُ للقلب بإماطةِ الشهوات مثل الجلاء للمرآة».

ابن قدامة، مختصر منهاج القاصدين (٤٥)

٢٠) فإذا استمع العبد إلى كتاب الله تعالى، وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام بنيَّةٍ صادقة على ما يحب الله، أفهمه كما يحب، وجعل له في قلبه نورًا.

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١٧٦/١١)

٢١) ومن أُوتي علمَ القرآن فلم ينتفع، وزجرته نواهيه فلم يرتدع، وارتكب من الإثم قبيحًا، ومن الجرائم فضوحًا ؛ كان القرآن حجة عليه، وخصمًا لديه، قال صلى الله عليه وسلم: (القرآن حجة لك أو عليك).

القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (١ / ٢)

٢٢) «ينبغي للقارئ أن يكونَ شأنُه الخشوع، والتدبر، والخضوع، فهذا هو المقصود المطلوب، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب، وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم آية واحدة ليلة كاملة أو معظم ليلة يتدبَّرُها عند القراءة».

النووي، الأذكار النووية (ص: ١٥٠)

٢٣) «ومن أصغى إلى كلام الله، وكلام رسوله – صلى الله عليه وسلم – بعقله، وتدبَّرَه بقلبه، وجد فيه من الفهم، والحلاوة، والهدى، وشفاء القلوب، والبركة، والمنفعة ما لا يجدُه في شيء من الكلام؛ لا نظمًا، ولا نثرًا».

ابن تيمية، اقتضاء الصراط (٣٨٤/١)

٢٤) «من تدبَّر القرآنَ طالبًا الهدى منه؛ تبيَّنَ له طريق الحق».

ابن تيمية، الواسطية (ص:٨)

٢٥) دخل في قوله صلى الله عليه وسلم: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» تعليمُ حروفه ومعانيه جميعًا، بل تعلُّمُ معانيه هو المقصودُ الأول من تعلُّم حروفه، وذلك الذي يزيد الإيمان، كما قالَ جندب بن عبد الله، وعبد الله بن عمر وغيرهما: «تعلَّمْنا الإيمانَ ثم تعلمنا القرآنَ فازددنا إيمانًا، وأنتم تعلّمتم القرآنَ ثم تتعلمون الإيمان، ولهذا كانوا يبقون مدّةً في حفظ السورة».

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٣٠٤/١٣)

٢٦) «فمن تدبَّر القرآن، وتدبَّر ما قبل الآية وما بعدها، وعرف مقصودَ القرآن تبين له المراد، وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج».

ابن تيمية، مجموع الفتاوى(٩٤/١٥)

٢٧) قد عُلم أنه من قرأ كتابًا في الطب أو الحساب أو غيرهما فإنه لابد أن يكون راغبًا في فهمه وتَصَوُّر معانيه، فكيف بمن يقرأ كتابَ الله تعالى – الذي به هدَاه، وبه يعرف الحق والباطل، والخيرَ والشر–؟ فإن معرفة الحروف بدون المعاني لا يحصُلُ معها المقصود، إذ اللفظ إنما يراد للمعنى.

ابن تيمية، مجموع الفتاوى (٧/٧٤)

٢٨) «وإذا تَدبَّرت كتابَ الله؛ تَبيَّن أنه يفصل النزاع بين من يحُسن الرد إليه، وأن من لم يهتد إلى ذلك؛ فهو: إما لعدم استطاعته فيُعذر، أو لتفريطه فيُلام».

ابن تيمية، مجموع الفتاوى: (٦٣/٣٤)

٢٩) «ولا يجعل همتَه فيما حجب به أكثر الناس من العلوم عن حقائق القرآن: إما بالوسوسة في خروج حروفه، وترقيقها، وتفخيمها، وإمالتها، والنطق بالمد الطويل والقصير والمتوسط وغير ذلك، فإن هذا حائلٌ للقلوب قاطعٌ لها عن فهمِ مرادِ الرب من كلامه»

ابن تيمية، مجموع الفتاوى(٥٠/١٦)

٣٠) «فإنّ القرآن لم ينزل لمجرد التلاوة، وانعقاد الصلاة عليه؛ بل أنزل ليُتدبَّر، ويُعقَل، ويُهدى به علمًا، وعملًا، ويبصر من العمى، ويرشد من الغي، ويعلم من الجهل، ويشفي من الغي، ويهدي إلى صراط مستقيم».

ابن القيم، الصواعق المرسلة (٣١٦/١)

من كلمات أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر

٣١) تدبُّرُ كتابِ الله مفتاحٌ للعلوم والمعارف، وبه يُستنتج كل خير وتُستخرج منه جميع العلوم، وبه يزداد الإيمانُ في القلب وترسخ شجرته.

تفسير ابن سعدي (ص:١٨٩)

٣٢) إياك - يا أخي - ثم إياك، أن يُزهّدَك في كتاب الله تعالى كثرةُ الزاهدين فيه، ولا كثرةُ المحتقرين لمن يعمل به ويدعو إليه، واعلم أن العاقل، الكيس، الحكيم، لا يكترث بانتقاد المجانين.

الشنقيطي، أضواء البيان (٥/١)

٣٣) «فوالله الذي لا إله إلا هو! ما رأيت -وأنا ذو النفس الملأى بالذنوب والعيوب- أعظم إلانةً للقلب، واستدرارًا للدمع، وإحضارًا للخشية، وأبعث على التوبة، من تلاوة القرآن، وسماعه».

عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير (ص:٣٩)

٣٤) «عليك بتدبُّر القرآن حتى تعرف المعنى، تدبَّرْه من أوله إلى آخره، واقرأه بتدبُّر وتعقُّل، ورغبة في العمل والفائدة، لا تقرأه بقلب غافل، اقرأه بقلب حاضر، واسأل أهل العلم عما أشكل عليك، مع أنّ أكثره - بحمد الله - واضح للعامة والخاصة ممنّ يعرف اللغة العربية».

ابن باز، فتاوى ابن باز (٢٥/٩)

٣٥) «ما أحسن وقع القرآن، وبلّ نداه على القلوب التي ما تحجَّرت، ولا غلب عليها الأشر والبطر، والكفر والنفاق والزندقة والإلحاد! هو والله نهرُ الحياة المتدفّقُ على قلوب القابلين له، والمؤمنين به، يُغذّيها بالإيمان، والتقوى لله تعالى، ويحميها من التعفّن والفساد، ويحملها على كل خير وفضيلة».

الشيخ صالح البليهي، الهدى والبيان في أسماء القرآن (١٢٢)

٣٦) «وإني أحثكم -أيها الشباب- على الحرص التام على تدبر القرآن ومعرفة معانيه؛ لأن القرآن إنما نزل ليتدبَّر الناسُ آياته وليتذكروا به، إذ لا فائدة بتلاوة اللفظ دون فهم للمعنى، وإذا أشكل عليكم شيء فاسألوا عنه».

ابنُ عثيمين، لقاءات الباب المفتوح - اللقاء رقم (١٧١)

٣٧) تأمل! جبلٌ عظيم، شاهق، لو نزل عليه القرآنُ لخشع، بل تشققَ وتصدع، وقلبُك هذا، الذي هو - في حجمه - كقطعة صغيرة من هذا الجبل، كم سمع القرآنَ وقرأه؟ ومع ذلك لم يخشع ولم يتأثر؟ والسر في ذلك كلمة واحدة: إنه لم يتدبر.

أ.د.ناصر العمر

٣٨) «مع أهمية حفظ القرآن الكريم، إلا أننا نجد أمرًا غريبًا في عالمنا الإسلامي، حيث إنّ فيه مئات الألوف من المدارس التي تعتني بحفظ القرآن، على حين أننا لا نكاد نجد مدرسة واحدة متخصصة بتدبُّره وفهمه والتفكر فيه!».

أ.د.عبدالكريم بكار

٣٩) من القضايا المسَلَّمة أنه مهما تأنَّق الإنسان في تحبير العبارات -وهو يوضح معاني كلام الله- فما هو إلا كالشرح لشذرة من معانيه الظاهرة، وكالكشف للمعة يسيرة من أنواره الباهرة، إذ لا قدرة لأحد على استيفاء جميع ما اشتمل عليه الكتاب، وما تضمّنه من لُبِّ اللباب.

جمال الدين القاسمي، مقدمة تفسيره (محاسن التأويل ٥/١)

٤٠) «ومن تدبَّر كتابَ الله، وأكثر من تلاوته عَرَفَ صفات الرابحين، وصفات الخاسرين على التفصيل»

ابن باز - معلقًا على سورة العصر- مجموع فتاوى ابن باز (٩٥/٥)

٤١) «القرآن هو الذي بلَغ بصدر هذه الأمة تلك الدرجة العالية من التربية، ووضع موازين القسط، فلزم كلٌّ واحد قدرَه، وأفرغ في النفوس من الأدب الإلهي ما صيَّر به كلَّ فرد مطمئنًا إلى مكانه من المجموع، واقفًا عند حدوده، فلا المرأة تخشى ظلمَ الرجل، ولا العبدُ يخاف من جور سيده».

البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي (٩٥/٤)

٤٢) هل يوجدُ شيءٌ أهمُّ في حياة الأمة من القرآن حتى نُقدِّمَه عليه؟ كلا! فيجب أن يصبح القرآن هو الأساس في التعليم وبناء الشخصية، هذه نصيحة لله، وحقيقة نُعلنُها ونُسرُّها، هذا عين الحق الذي يجب أن يتبع.. والطريق: هو أن يتجه الجميع نحو قبلة واحدة؛ هي التركيز على القرآن والوحي جملة، فالإدلاج الإدلاج.. وعند الصباح يحمد القوم السرى.

د.الشاهد البوشيخي، من أبرز علماء المغرب الحاملين لواء الإصلاح بالقرآن

٤٣) لو أن المسلمين استقاموا على تدبُّر القرآن والاهتداء به في كل زمان، لما فسدت أخلاقُهم وآدابُهم، ولما زال ملكُهم وسلطانُهم، ولما صاروا عالةً في معايشهم وأسبابها على سواهم.

محمد رشيد رضا، تفسير المنار (٢٤١/٥)

٤٤) تجد القرآن الكريم عندما يقص أخبار الماضين فإنما ينفخ فيها روح الحياة، فإذا هي حية تسعى، نسمع فيها ضجيج العراك بين المحقين والمبطلين! إن قصص القرآن قِطَعٌ من الحياة الماضية، استرجعها الوحي الأعلى للتعليم والاعتبار.

محمد الغزالي، المحاور الخمسة للقرآن (١٠٠)

٤٥) القرآن يملأ النفوس بعظَم الهمة، وهذا العظَم هو الذي قذف بأوليائه ذات اليمين وذات الشمال، حتى رفعوا لواء العدل، وفجّروا أنهارَ العلوم تفجيرًا، وَإذا رأينا من بعض قُرائه هممًا ضئيلة خاملة، فلأنهم لم يتدبروا آياته، ولم يتفقهوا في حكمه.

كتاب الحديقة، لمحب الدين الخطيب: (٥٣٤/١)

٤٦) كلمة عالم عاش مع القرآن: هذا الكتاب المبارك انتقل بالإنسان من حدود الدنيا وضيقها إلى سعة الآخرة ونعيمها، فجعل من سعي الآخرة برًا بالدنيا، ومن العمل الصالح في الدنيا نعيمًا في الآخرة، فلم يعد الإنسان -بفقه القرآن- حبيس غمٍّ وهمٍّ على فوات دنياه.

محمد الراوي، حديث القرآن عن القرآن (٣٣٥)

٤٧) لو رأيتم رجلًا يقرأ جريدة من أولها إلى آخرها ثم لمّا فرغ سألتموه: ما أخبارُها؟ قال: لا أدري؟ لم أحاولْ أن أتفهَّمَ معناها؟ فما تقولون فيه؟ أما تنكرون عليه؟ فكيف لا تنكرون على من يعكف على المصحف حتى يُتمَّ الختمةَ وقد خرج منها بمثل ما دخل فيها ما فهم من معانيها شيئًا؟ من أين جاءت هذه المصيبة؟ وكيف حُرِم المسلمون من قرآنهم وهو بين أيديهم وملء أنظارهم وأسماعهم؟

علي الطنطاوي

وبعد: فإن الكثير يسأل –بعد أن يقرأ مثل هذه الكلمات-: كيف أتدبر القرآن؟

والجواب عن هذا كبير، وقد حاولنا في تدبُّر أن نجيب عن هذا السؤال بتصنيف بعض الرسائل والكتب، ومنها:

١- فن التدبر في القرآن الكريم د.عصام العويد

٢- المراحل الثمان لطالب فهم القرآن د.عصام العويد

ثم عمدنا إلى نماذج تطبيقية تعين على تقريب ذلك من خلال الكتب الآتية:

١- بدائع المعاني، د.عبدالمحسن العسكر

٢- أسوار العفاف، د.عصام العويد

٣- تحريك الجنان لتدبر وتوقير أم القرآن، د.عصام العويد

٤- قواعد قرآنية، د.عمر المقبل

٥- جماليات النظم القرآني، د.عويض العطوي

وكلها مطبوعة متداولة، نسأل الله أن ينفع بها.

تدبُّر مركز تدبر للدراسات والاستشارات

الرياض- الدائري الشرقي- مخرج ١٥ - هاتف ٢٥٤٩٩٩٣ - تحويلة ٣٣٣ - ناسوخ ٢٥٤٩٩٩٦

ص.ب ٩٣٤٠٤ الرمز ١١٦٨٤ - البريد الحاسوبي: tadabbor@tadabbor.com

www.tadabbor.com

تدبُّر

مركز تدبر للدراسات والاستشارات

كَلامُ الأَعلام

في الحثِّ على تدبُّر كلامِ الملكِ العلاّم

إعداد اللجنة العلمية في مركز تدبر